تاريخية النص القراني وحاكمية النصوص الشرعية (دراسة نقدية)

م.م. زهراء ساجد علي الزبيدي
sajidzahraa23@gmail.com
الجامعة المستنصرية / كلية التربية الأساسية

الملخص

مصطلح التاريخية قد ظهر بادى الامر في الفكر الحداثوي الغربي في القرن التاسع عشر ، وتغلل ذلك المصطلح الفكر الحداثوي العربي في بداية حقبة السبعينات كما يعد كتاب (العرب والفكر التاريخي) من أوائل ماكتب في هذا الصدد، واوضحنا مايريد الحداثويين من مصطلح التاريخية وكيف يعرفها، واوردنا حول ذلك جملة من التعريفات بغية الوصول الى معنى واضح للموضوع .

كما اكد الحداثيون على ضرورة إعادة قراءة النص الديني وكان هدفهم من إعادة قراءة النص هو التحرر من النص الديني وتجاوزه وليس لفهم النص وتاكيده ، اذ حاول جاهدين تعطيل الاحكام الشريعة في بعض النصوص الدينية التي يرون أن أحكامها ليست مناسبة لظروف الواقع الاجتماعي الراهن ، اذ انهم حاولوا جاهدين لالغاء تطبيق الشريعة الإسلامية في الأمور التي تخص العبادات والمعاملات .

اعتمد الحداثوين في تعاملهم مع نصوص الدينية الإسلامية على الأدوات المناهج الغربية ، مركزين على السياق التاريخي والثقافي الذي نزلت فيه الآيات ، يرون أن فهم سبب نزول الآية يساعد في تحديد مدى انطباق الحكم في الظروف الحديثة ، اذ ان بعض الأحكام قد تكون مرتبطة بظروف تاريخية خاصة ، وبالتالي تحتاج إلى إعادة تفسير لتتلائم مع الوقت الحاضر.

الكلمات المفتاحية: التاريخية، إعادة قراءة النص الديني، نقد النصوص الحاكمة، الحداثويين.

Historicism of the Quranic Text and the Authority of Sharia Texts (A Critical Study)

M.M.: Zahraa Sajid Ali Al-Zubaidi
Al-Mustansiriyah University / College of Basic Education

Abstract

The term “historicism” first emerged in Western modernist thought in the 19th century, and this term penetrated Arab modernist thought in the

early 1970s. The book “Arabs and Historical Thought” is considered one of the earliest works written on this subject. We clarified what modernists mean by the term “historicism” and how they define it, and we provided several definitions in order to arrive at a clear understanding of the topic.

Modernists also emphasized the necessity of reinterpreting religious texts, with their goal being to liberate themselves from religious texts and surpass them, rather than to understand and affirm them. They have strived to suspend the Sharia rulings in certain religious texts that they see as unsuitable for the conditions of contemporary social reality. They have endeavored to abolish the application of Islamic law in matters related to worship and transactions.

Modernists relied on Western methodological tools in their approach to Islamic religious texts, focusing on the historical and cultural context in which the verses were revealed. They believe that understanding the reason for the revelation of a verse helps determine the applicability of the ruling in modern circumstances, as some rulings might be tied to specific historical conditions and therefore need reinterpretation to align with the present time.

Keywords: historicism, reinterpretation of religious texts, critique of the concept, governing texts, modernists.

المقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم

لازالت العلوم تستهوي طلابها ومريدها والمهتمين بها الى وقتنا الحاضر ؛ وذلك لعدم الإحاطة بها وأخص بالذكر العلوم القرآنية التي تتنجد في كل يوم وكانها كائن حي متجدد، واستهوى الدارسين والباحثين من الشرق والغرب ، ينم عن شدة التأثيرات التي يصطحبها الدين وعلى اختلاف المكان والزمان ، فلا عجب أن يخرج لنا نص قد نبثق من الغرب وذلك لأن دائرة التأثير الديني واسعة ، وكما تعلمون احبتي طلبة العلم أن ظاهرة الاستشراق والحداثوين وعملية التأثير كانت متبادلة ، مستهدفة القمة السامقة للدين الا وهو القرآن ، ومن جملة ماتم اثارته هو تاريخية النص القرآني من حيث عدم شموليته لكل زمان ومكان .

أن النص القرآني تأثر نتيجة المؤثرات المصاحبة لزمن المصدر، لذا كان لابد من الوقف في المبحث الأول على مفهوم التاريخية ومعرفة مقاصدها وتاريخ نشاتها

أما المبحث الثاني جاء تحت عنوان أعادة قراءة النص الديني ، حيث أن الفكر الحداثوي يرفض شمولية النص القرآني لكل زمان ومكان، كما يمارس الجهل المركب في أن الشريعة وضع الهي يمكن تحقيق الاستفادة منها على الرغم من تقادم الازمان ، وهنا لابد من تشخيص الأخطاء وتبين الهفوات التي وقع بها أصحاب هذا الرأي، وذلك ناجم من سوء الفهم للقراءة المعاصرة فلا بدّ من تطوير الأدوات البحثية لنصل الى مستوى عالي من فهم النص الديني .

اما المبحث الثالث كان تحت عنوان نقد مفهوم التاريخية للنصوص الحاكمة ، حيث اوردنا بعض آراءهم حول اخضاع العلوم الدينية الى منهجية العلوم التجريبية وهذا من الأشياء التي لا يمكن أن يحدث لأن العلوم التجريبية تغضع لأمور لا يمكن تطبيقها على العلوم الدينية ، كما أن الاولى يخضع لمعطيات حسية مكيكانية، لذا تجد أن الاختلاف ضئيل ولا يوجد اختلافات جوهرية فلا يمكن أن يكون نتاج فهم المتدين الصيني مطابقة لعلماني فرنسي ، وهذا نتاج اختلاف المدارس والايدلوجيات والتراكم المعرفي الهائل

الكلمات المفتاحية : التاريخية ، إعادة قراءة النص الديني ، نقد المفهوم ، النصوص الحاكمة، الحداثويين.

مفهوم التاريخية ونشاتها

عرف مصطلح التاريخية بعدة مفاهيم منها ماعرفه الفيلسوف الفرنسي ريكور بول:(المنهج الذي ينطلق من النص التجريبي المباشر، ثم يعود بعدها إلى الدلالة الواقعية للنص الذي انطلق منه)[١].

وعرفه الفيلسوف المجري جورج لوكاتش بأنه :(عبارة عن استيعاب النص كما هو بالنسبة إلى واقعه الموضوعي، وإلى ترابطات الواقعة الاجتماعي الخفي)[٢].

بينماعرفها الفيلسوف والناقد المصري عبد المنعم الحنفي : (إنها وجهة النظر التي تنظر إلى العالم بوصفه مجال فعل الإنسان باعتباره الكائن الوحيد الواعي ومن ثم لا يكون هناك مجال للحديث عن أي معرفة أو خبرة إلا بالنسبة للإنسان)[٣].

[١] صراع التاويلات : بول ريكور، ترجمة : منذر عياشي ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، بيروت، الطبعة : الأولى ، ٢٠٠٥: ٤٩.

[٢] دراسات في الواقعية : جورج لوكاتش ، ترجمة : نايف بلوز ، الموسسة الجامعية للدراسات ، الطبعة : الثالثة ، بيروت ، ١٩٨٥: ١٣١.

[٣] المعجم الفلسفي : عبد المنعم الحنفي ، الدار الشرقية ، القاهرة ، الطبعة : الأولى ، ١٩٨٧ :١٥.

والواضح من التعريفات السابقة ان التاريخية توكد على التفسير الواقعي للنص أي تفسير النص في ضوء رؤية الأحداث التاريخية في بعدها الواقعي ، وعليه يعز النص هو الناقل للحدث والمنعكس عنه .

نشاتها يرجع ظهور مصطلح التاريخية في الفكر الحداثوي الغربي الى القرن التاسع عشر في قاموس لاروس الكبير عام (١٨٧٢) ، ثم تبلور كمفهوم على يد فيگو[١] حيث نص على ان : البشر هم الذين يصنعون التاريخ وليست القوة الغيبية كما يتوهمون ، فالتاريخ كله بشري من أقصاه الى أقصاه، وان لغة هي مرآة الشعوب ، كما يرى انه من خلال النصوص التاريخية يتبين لنا تطورات اللغة التي تبين المراحل التي تطور المجتمع [٢].

ويتضح مما سبق ذكره ان التاريخية نشأت لدى فلاسفة الغرب، ثم وفدت إلى العالم الإسلامي، بدايات السبعينات (١٣٩٠ – ١٩٧٠) ويعد (كتاب العرب والفكر التاريخي) من أوائل الكتب التي تناولت مصطلح التاريخية ، لكن محمد العرداوي لم يتناول النصوص الشرعية بفلسفتها التفكيكية ، كما فعل مؤسس الفلسفة التفكيكية أركون ، وتبعه نصر أبو زيد وحسن حنفي، ومحمد عابد الجابري، وهشام جعيط .

ويعلق الدكتور محمد عمارة عن ذلك قائلا: (وفدت هذه النزعة إلى الشرق الإسلامي ضمن الوافد التغريبي ، الذي جاءنا في ركاب الغزوة الاستعمارية الغربية الحديثة، التي تسلحت –مع الدفع – بفكر عصر التنوير الأوروبي ، ساعية إلى احتلال العقل المسلم لتأييد وتأبيد احتلال الأرض ونهب الثروات) [٣].

يعد محمد أركون أول من استخدم المنهجية التفكيكية والتاريخية في دراست النصوص الدينية، حيث قال: (أريد لقراءتي هذه أن تطرح مشكلة لم تطرح عمليا قط بهذا الشكل من قبل في الفكر الإسلامي، ألا وهي تاريخية القرآن، وتاريخية ارتباطه بلحظة زمنية وتاريخية معينة، حيث كان العقل يمارس آليته بطريقة معينة ومحددة) [٤].

[١] فيگو ولد عام(١٦٨٨) كان من ابرز الفلاسفة عصر التنوير الفرنسي ومن ابرز مؤلفاته مبادئ علم جديد عن الطبيعة المشتركة بين الشعوب. (راجع: اطلس: بيتركونزمان واخرون، ترجمة: جورج اكتورا، المكتبة الشرقية ، بيروت – لبنان ، الطبعة: الحادية عشر،٢٠٠٣م: ١٣١).

[٢] ينظر: القران من التفسير الموروث الى تحليل الخطاب الديني: محمد اركون ، ترجمة وهامش: هاشم صالح ،دار الطليعة ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ٢٠٠٥: ٤٧-٤٨.

[٣] خطر النزعة التاريخية على ثوابت الإسلام : أ. د محمد عمارة ،مكتبة وهبة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ –٢٠١١ :٦.

[٤] الفكر الإسلامي (قراءة علمية):محمد اركون ، ترجمة :هاشم صالح ، مركز الانماء القومي ، بيروت ،الطبعة :الثانية ، ١٩٩٦ :٢١٢.

ويكمل كلامه قائلا : (وانما كل ما أسعى إليه هو محاولة فرض قراءة تاريخية للنص القرآني، قراءة تمتنع منذ الآن فصاعدا عن أية عملية إسقاط إيديولوجية على هذا النص)[١].

ويسعى اركون جاهدا لتبرئة الغرب من مصطلح تاريخية النص القراني بانها ليست مجرد لعبة ابتكرها الغرب ، إنما هي شيء يخص الشرط البشري منذ أن ظهر على الأرض، ولا توجد طريقة أخرى لتفسير أي نوع من أنواع ما ندعوه بالوحي أو أي مستوى من مستوياته خارج تاريخية انبثاقه وتطوره أو نموه عبر التاريخ، ثم المتغيرات التي تطرأ عليه تحت ضغط التاريخ ، إن أصبحت اللامفكر فيه الأعظم بالنسبة للفكر الإسلامي [٢].

ثم يشرح هاشم صالح معنى التاريخية في كتابات أركون فيقول: (المقصود هنا –وفي كل مكان– الأصل التاريخي للتصرفات والمعطيات والحوادث التي تقدم وكأنها تتجاوز كل مكان وزمان وتستعصى على التاريخ)[٣] .

ويعرف أركون التاريخية بشكل أكثر اختصاراً عندما يقول: إنها تعني (التحول والتغير أي تحول القيم وتغيرها بتغير العصور والأزمان)[٤].

هدف اركون من قراءة النص قراءة تاريخية تفكيكية هو محاولة إدخال التاريخية إلى ساحة الفكر العربي الإسلامي ، تعني أن للأحداث والممارسات والخطابات أصلها الواقعي وحيثياتها الزمانية والمكانية، وشروطها المادية والدنيوية، كما تعني خضوع البنى والمؤسسات والمفاهيم للتطور والتغير أي قابليتها للتحويل والصرف وإعادة التوظيف[٥].

وسعى نصر ابو زيد بربط تاريخ النص في فهم كلام الله تعالى ، حتى لو كان هذا الزمن هو لحظة افتتاح الزمن و ابتدائه، أنها لحظة الفصل والتميز بين الوجود المطلق المتعالي –الوجود الإلهي –والوجود المشروط الزماني ، واذا كان الفعل الإلهي الأول فعل إيجاد العالم ، هو فعل افتتاح الزمن ، فان كل الأفعال التي تلت هذا الفعل الأول الافتتاحي تظل أفعالا تاريخية [٦] .

يقول الطيب التيزيني أن النص القرآني نفسه كان قد تأثر بذلك الموروث فهو كنص أريد له أن يؤثر في بشر ذوي انتماء اجتماعي وتراثي معين، لم يكن له أن يفعل ذلك بعيدا عن ذلك الانتماء أي عن واقع الحال الثقافي والسياسي والاعتقادي والسيكولوجي ، الذي كان مهيمنا في

[١] المصدر نفسه :٢١٣.

[٢] المصدر نفسه :٢٠.

[٣] من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي : محمد اركون ، ترجمة : هاشم صالح ، دار الساقي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ،١٩٩١ :٢٦ .

[٤] من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي : محمد اركون: ٢٦.

[٥] ينظر: نقد النص : علي حرب ، الدار البيضاء ، المغرب ، الطبعة : الرابعة ،٢٠٩٥ :٦٥.

[٦] النص السلطة الحقيقة: نصر حامد أبو زيد ،الدار البيضاء ،الطبعة : الأولى ،١٩٩٥ :٧١.

القرن السابع وفي بقعة جغرافية مفتوحة خصوصا أمام اكبر حضارتين وهما الفارسية و الرومية[١].

ويقول حداثوي اخر نحن نؤمن بتاريخية النصوص وبربطها بأسباب ورودها وبالفترة الزمنية التي ظهرت فيها وبالبيئة التي انبعثت منها وبالمجتمع الذي ولدت فيه، بل وبالظروف الجغرافية التي واكبتها وبالدرجة الحضارية للمخاطبين بها وبمداهم المعرفي وأفقهم الثقافي[٢].

وتشكل بنيه النص القرآنية غرضا محددا قد ينتهي بانتهاء زمنه او مضمونا اذا سوف تبقى مع الزمن وتستمر فيه كتعاليم وشراع وتقاليد وقيم من جمالية وفنيه يجمع هذه البنيات كلها زمان ومكان يطراها لكن هذا الزمان لا يمكن له ان يحاصرها ولا هذا المكان يستطيع ان يسجنها فيه لان لها بعدين زمانيين وبعدين مكانيين ايضا البعد الاول: هو زمان ومكان الغرض الذي من اجله جاء الناس واختفى بعبور هذا النص من فوهة لحظته الماضية ويعد غرض النص وحده خارجيه له لا تبقى مع وحدته الداخلية ، اما بعده الثاني : زمان ومكان التواصل في التاريخ ، اي قيمته في المستقبل ، وان كان النص الديني لاياخذ قيمته في المستقبل بصفته كنص او لغة انسانية ، او مجرد عمل ادبي فقط ، وانما تتماس معه روح الايمان والاعتقاد التي تملى النص بمدلولات نفسية وعاطفية ، ومعاني قيمة تثبت في الذاكرة التاريخية للبشر [٣].

وبناء على ذلك يوكد أبو زيد أن النصوص الدينية هي أفعال هي أفعال تاريخية ثم يوكد ذلك مجددا في كتابه نقد الخطاب حيث يقول : (ان البعد التاريخي الذي نتعرض لهم هنا يتعلق بتاريخ المفاهيم التي تطرحها النصوص من خلال منطوق وذلك نتيجة طبيعية لتاريخ اللغة التي صيغت بها النصوص ذاتها)[٤] .

اذن فالخلفية التاريخية بجميع معطياتها الثقافية التي وجهت ذهن المفسر في تعامله مع الأحكام وهي بذلك المسافة الفاصلة بين أصل الحكم كما نزل والشكل النهائي الذي بلغه هذا الحكم ، وهي بلا شك مسافه تاريخيه اد لا يمكن باي حال من الاحوال ان يتجلى الحكم في تحوله التاريخ في ظرف زمن قسم وانما هو خاضع في تغييره الى جمله هذه العوامل الثقافيه التي تتميز بحركتها البطيئه التابعه للطابع والسلوكات الاجتماعيه كما ان التاريخيه هي مفهوم لا يدرك في

[١] ينظر: النص القراني أمام اشكالية البنية : الطيب تيزيني ، دار الينابيع،١٩٩٧:٨٠.

[٢] الأسس الفكرية لليسار الإسلامي : خليل عبد الكريم، موسسة الأهلي ، الطبعة :الأولى ،١٩٩٥ : ١٠٨.

[٣] ينظر: سلطة النص (قراءات في توظيف النص الديني):عبد الهادي عبد الرحمن ، الناشر : الانتشار العربي ، الطبعة :الثانية : ٨٩– ٩٠.

[٤] نقد الخطاب الدين : نصر حامد ابو زيد ، سينا للنشر ، القاهرة –مصر ، الطبعة : الثانية ، ١٩٩٤: ١١٨.

عملنا من خلال مقالات نظريه بقدر ما هو توقف من خلال جمله من تطبيقات هي تحليل الاعمال المفسرين ورصد لما يزيد الجيل على سلف او يختلف به عنه [١].

والغاية من انبثاق مفهوم تاريخية النص؛ لضرب قدسية القران الكريم ، ودحض عصمة النص، بدعوى تكثير المعنى مع نسبيته، من اجل دحض البعد الوحياني للنص لقد أخضع كل من نصر حامد أبوزيد، ومحمد أركون النص القرآني لسلطة ونصوصية المنهج اللغوي، والسيميائي، والاركيولوجي، والسيسيولوجي، والهرمينوطيقي، والنقد التاريخي ، أي إخضاع النص القرآني للقراءة النقدية عن طريق النقد التاريخي المقارن، والتحليل الألسني التفكيكية ونحوها من مناهج العلوم الإنسانية والاجتماعية ، يدعو الخطاب العلماني إلى التوسل بالدراسة التفكيكية للنصوص المقدسة، وإلى قراءتها على انها نصوص تاريخية منفصلة عن مصدرها، أو ما يسمى في البنيوية بـ (موت المؤلف) في سبيل تحقيق الغايات المنشودة [٢].

وفي سياق الكلام عن مصطلح التاريخية ، نصادف مصطلحا آخر قريب منه، وهو مفهوم "التاريخانية وهو مصطلح متأخر الظهور والإستعمال مقارنة بسابقه التاريخية ، فالتاريخانية يرجع أول استعمال له إلى سنة ١٩٣٧، وتدل على عقيدة معينة تقضي بتطور العلاقة مع التاريخ، وهناك من يعتبرها موقفا أخلاقيا أكثر مما هي فلسفة[٣].

وكذلك لابد ان نفرق بين مصطلحي (التاريخية) و(التاريخانية) من خلال ما جاء في معجم أكسفور بان (التاريخية) : هي أحداث التاريخ تحكمها قوانين الطبيعة، أما (التاريخانية) فهي ارتباط شديد بالماضي أو توقير له، ومنه كلمة تاريخاني التي هي وصف للشخص الذي يقول بالحتمية التاريخية [٤]، ومن خلال ذاك نستنتج الفرق بين التاريخية والتاريخانية ، فالتاريخية تتجلى بكونها مذهب أو نزعة، بينما التاريخانية فهي صفة، وهذا التمييز الذي نفسه الذي أشار إليه معجم (روبير) فيقول التاريخية تعني المذهب الذي يدرس الأحداث ضمن شروطها التاريخية، أما (التاريخانية) فهي سمة ما هو تايخي [٥].

[١] ينظر : تاريخية التفسير القراني : نائلة السليني الراضوي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت– لبنان ، الطبعة : الاولى ،٢٠٠٢: ٩.

[٢] ينظر :جدلية الأيديولوجي والمعرفي : ليث العتابي ، دار القارى ،لبنان ، الطبعة: الأولى ، ٢٠١٧: ٤٤-٤٥.

[٣] ينظر : ثقافتنا في ضوء التاريخ، عبد الله العروي ، المركز الثقافي العربي، الطبعة :الرابعة ،١٩٩٧: ١٦.

[٤] قاموس أكسفورد المحيط قاموس إنجليزي عربي : جويس هوكنز وآخرون ، مراجعة وإشراف محمد دبس، أكاديميا بيروت – لبنان : ٤٩٤.

[5] le Petit Robert , Dictionnaire de la langue française, nouvelle Edition (1992) p 932

ولكن معظم الباحثين والدارسين يرى أن مفهومين التاريخية والتاريخانية بمعنى واحد أي انهما ينصان على إن (التاريخية كمنهج تؤدي حتماً إلى التاريخانية كاتجاه فلسفي) [١]

إعادة قراءة النص الديني

والواضح من الكلام السابق ان المنهج الفكري الحداثوي يرفض شمولية النص القرآني لكل زمان ومكان، وينفي أن للشريعة الإسلامية كليات ومباديء وأطر حاكمة، ويتغابى في كونها وضع إلهي ثابت، موكدا على ان فهم النص القرآني يتطور ويتغير، ولا بد من إعادة قراءة النص قراءة صحيحة لاستنباط دلالات مناسبة ، وليس قراءات تظل حبيسة الماضي لاتتغير مهما كانت الظروف[٢] .

ويوكد الحداثيون على ضرورة إعادة قراءة النص الديني (فتلك القراءات حولت النص إلى بوق لا يسمع منه سوى أصوات الموجهين، وليس صوت النص، فلحقه غياب كلي لكينونته، لأنه تم تناوله من منظور مؤدلج همه الوحيد التكلم باسم النص، وليس التكلم لأجل النص ، وتبرز على خلاف ذلك وظيفة التأويل التي تسعى إلى فهم الواقع فلا فكر خارج الواقع المتضمن لجميع أشكال التعارض والتباين، إذ لا ينبغي حصر دراسة التراث على الماضي، واجترار أفكار أمجاده، فالعلاقة بين الماضي والحاضر علاقة تواصل و جدل تستوجب قراءة الماضي لفهمه وتجاوزه لاالتقديسه) [٣].

إعادة صياغة النص القرآني وفق معطيات تتيحها وثائق – لم يذكرها محمد أركون ولم يبشر باحتمال وجودها بعد أن قرر – من دون حجة – أن النص القرآني تعرض للتحريف الدواع طائفية ومذهبية، قال: ينبغي أولا إعادة كتابة قصة تشكل هذا النص بشكل جديد كليا، أي نقد القصة الرسمية للتشكيل التي رسخها التراث المنقول نقدا جذريا، وهذا يتطلب الرجوع إلى كل الوثائق التاريخية التي أتيح لها أن تصلنا، سواء كانت ذات أصل شيعي، أم خارجي، أم سني، هكذا نتجنب كل حذف ثيولوجي لطرف ضد آخر، المهم عندئذ التأكد من صحة الوثائق المستخدمة، بعدها نواجه ليس فقط مسألة إعادة قراءة هذه الوثائق، وإنما أيضا محاولة البحث عن وثائق أخرى ممكنة الوجود كوثائق البحر الميت التي اكتشفت مؤخرا [...] ، هكذا نجد أنفسنا أمام عمل ضخم من البحث وتحقيق النصوص الذي يتبعه فيما بعد – وكما حدث للأناجيل والتوراة – إعادة قراءة سميائية السنية للنص القرآني، إن المنهج الألسني رغم غلاظته

[١] مفهوم التاريخ : عبد الله العروي ، الدار البيضاء ، الطبعة : الرابعة ، ٢٠٠٥: ٣٤٩.

[٢] قراءة في القراءة: رشيد بنحدو ،مجلة الفكر العربي المعاصر، دار الآفاق، بيروت،العدد ٤٨، ١٩٨٨ :١٩ .

[٣] إشكاليات القراءة وآليات التأويل: نصر حامد أبو زيد ، المركز الثقافي العربي ، بيروت – لبنان ، الطبعة : الأولى ،٢٠١٤ :١٩١.

وثقل أسلوبه، يمكنه أن يحررنا من تلك الحساسية التقليدية التي تسيطر على علاقتنا البسيكولوجية بتلك النصوص علاقة منغرسة منذ الطفولة)[١].

وليس هدف العلمانيين من إعادة القراءة هو فهم أكثر للنص أو رد الاعتبار له إنما الهدف بكل بساطة هو التحرر من النص نفسه بغية تجاوزه، يقول نصر أبو زيد: ولا خلاص من تلك الوضعية إلا بتحرير العقل من سلطة النصوص الدينية وإطلاقه حرا يتجادل مع الطبيعة والواقع الاجتماعي والإنساني، فينتج المعرفة التي يصل بها إلى مزيد من التحرر فيصقل أدواته ويطور آلياته [٢] ، إن النصوص تخاطب في الأصل والأساس واقعا تاريخيا محددا، تتحدد من خلاله وعبر لغته – بكل اجتماعياتها – دلالتها، لكن هذه الدلالة قابلة دائما للانفتاح والاتساع[٣] ، ويشرح أبو زيد البعد التاريخي المتحكم في فهم النص بأنه ليس علم أسباب النزول أو الناسخ والمنسوخ بقوله: وليس المقصود بالبعد التاريخي هنا علم أسباب النزول – ارتباط النصوص بالواقع، والحاجات المثارة في المجتمع والواقع أو علم الناسخ والمنسوخ تغيير الأحكام لتغير الظروف والملابسات – فإن البعد التاريخي الذي نتعرض له هنا يتعلق بتاريخية المفاهيم التي تطرحها النصوص من خلال منطوقها، وذلك نتيجة طبيعية لتاريخية اللغة التي صيغت لها النصوص [٤].

<u>نقد مفهوم التاريخية للنصوص الحاكمة</u>

يحاول أركون أن يوهمنا أن العلوم الإنسانية والنقد التاريخي شأنها شأن العلوم التجريبية كالفيزياء والكيمياء والرياضيات فكما استقبلنا هذه العلوم بدون تحفظ، فعلينا استيراد الأولى كذلك، مع أننا نفهم الفرق بينهما جيدا، وأن العلوم الطبيعية تجريبية تخضع لمعطيات محسوسة شبه ميكانيكية ولهذا لا تكاد تجد بينها خلافات جوهرية، فما يكتشفه المتدين الصيني أو المسيحي يطابق ما اكتشفه العلماني الفرنسي مثلا، أما العلوم الإنسانية وعلوم الاجتماع والنقد التاريخي فهي فلسفات أكثر منها علوم، تختلف نتائجها حسب المدارس الفلسفية التي تتباها، والنقد التاريخي مثلا ليس رجلا منزها معصوما ينطق، بل الذين يقرأون وينقدون هم بشر لهم أفكارهم وقناعاتهم ونسقهم الإيديولوجي والفلسفي وخلفياتهم المعرفية.[٥]

[١] تاريخية الفكر العربي الإسلامي، محمد أركون، ترجمة : هاشم صالح ، مركز الانماء الثقافي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة : الثانية ،١٩٩٦: ٢٩٠-٢٩١ .

[٢] ثقافة التنمية وتنمية الثقافة. الإمام الشافعي لنصر أبي زيد :٤٣.

[٣] ينظر : نقد الخطاب الديني :٩٦.

[٤] مفهوم النص : نصر أبو زيد ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الطبعة :الأولى ،٢٠١٤ :

[٥] العلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام :مصطفى باخو السلاوي ، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة – جمهورية مصر العربية ، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م، :١٨٦.

القرآن وإن كان خطابه في وقتها خاص بالعرب لكنه خاطب الناس عامة عبر الأجيال ، فقد واجه العرب وخاطبهم بلغتهم وأساليب كلامهم المعهودة لديهم ؛ لغرض التفاهم معهم حينذاك وقوله تعالى :(وَما أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُم) [١] .

وفي القرآن الكريم ، تعابير تبدو متخصصة في الظاهر، ولكن في الحقيقة تحمل مفاهيم عامة تشمل جميع الناس في جميع العصور، وهذا ما جعل القرآن الكريم ان يكون دستورا عاما لجميع الأمم الأزمان، وكذلك الامثال والحكم المذكورة في القرآن لا تختص بذهنية العرب فقط، بل ترتبط بذهنية جميع الأمم عبر العصور ، ماروي (ما في القرآن آية إلا و لها ظهر و بطن، و ما فيه حرف إلا و له حد و لكل حد مطلع) سئل الإمام الباقر عن ذلك، فقال: ما يعني بقوله لها ظهر و بطن قال: ظهره و بطنه تأويله، منه ما مضى و منه ما لم يكن بعد، يجري كما يجري الشمس و القمر، وقوله تعالى: (وما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) [٢] [نحن نعلمه] [٣]

وإصرار الحداثوين على كون القرآن (منتجا ثقافيا) أي الواقع الاجتماعي والثقافي هو الموسس للنص للديني ، لا يتوافق مع الاعتقاد بوجود اصل سابق واعلى للقران ، على الرغم من ايمان بعضهم بالأصل الإلهي للقرآن، ويقول أبو زيد : (انّ النصّ القرآنيّ في ذاته وجوهره نتاجٌ ثقافيّ، أي إنّ هذا النصّ قد تكوَّن طوال هذه الفترة الممتدّة لأكثر من ثلاثة وعشرين سنة. وهذه حقيقة لا غبار عليها، وما محاولة إضفاء الوجود الميتافيزيقيّ السابق للقرآن إلاّ محاولةٌ لإخفاء هذه الحقيقة الواضحة. وبالتالي سيؤدّي ذلك إلى سلب إمكانيّة المعرفة العلميّة لظاهرة النصّ القرآنيّ. إنّ الإيمان بالمنشأ الإلهيّ والسماويّ للقرآن، وتبعاً لذلك القول بالوجود السابق للوجود العينيّ في الثقافة والواقع، مسألةٌ لا تتعارض ودراسة النصّ القرآنيّ من طريق معرفة الثقافة التي يتنسب إليها القرآن)[٤].

وتبين بعض الآيات القرآنية بوضوح أن القرآن المنزل له أصل أعلى وترتيب وجودي، وهو من حيث المرتبة والكرامة سابق على القرآن الذي نزل تدريجيا: قوله تعالى :(إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتابٍ مَكْنُونٍ * لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِين)[٥] ، وقوله تعالى :(بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ) [٦].

[١] سورة إبراهيم :الاية ٤.

[٢] سورة سورة ال عمران : الاية ٧.

[٣] تفسير العياشي : محمد بن مسعود العياشي ، المطبعة العلمية ، طهران، طبعة : الأولى ، ١٣٨٠ : ١١/١، وراجع البحار ج ١٩: ٩٤. البرهان ج ١: ٢٠. الصافي ج ١ ١٧– ١٨.

[٤] مفهوم النص :٢٤.

[٥] سورة الواقعة : الايات ٧٨–٨٠.

[٦] سورة البروج :الايات ٢١–٢٢.

ابتغاء الحداثيون جاهدين لتعطيل العمل في بعض النصوص الدينية التي يرون أن أحكامها مناسبة لظروف الواقع الاجتماعي ، اذ انهم يحاولون ابطال تطبيق الشريعة الإسلامية في الأمور التي تخص العبادات والمعاملات .

وهذا على عكس الحقيقة الواضحة التي لا تخفى إلا عن أعمى البصر والبصيرة وتتمثل في ديمومة الشريعة الإسلامية للتطبيق في كل زمان ومكان، ولا سيما أنها تجمع بين الثبات في الأصول والمرونة في الفروع، ولها القدرة على معالجة وحلول المشاكل الطارئة والنوازل المستجدة، وكانت منهجيتهم في تعاملهم مع النصوص التي تشتمل على أحكام، قائمة على جملة من المرتكزات الرئيسة منها : البحث عن مقصد النص قبل إصدار الحكم، وفهم النص في ضوء ملابساته وأسبابه، والتمييز بين المقاصد الثابتة والوسائل المتغيرة، وكذلك الملاءمة بين الثوابت والمتغيرات، والتمييز في الالتفات إلى المعاني بين العبادات والمعاملات[١].

فالحداثيون يعتمدون اداوت المناهج الغربية في تعاملهم مع نصوص الدينية الإسلامية ، ويجعلونها أساسا إلى القول بأن الاحكام الدينية مرتبطة بالوقع البيئي التي نزلت النصوص فيها، فالقراءة العصرية للتراث تهدف إلى (جعل المقروء معاصراً لنفسه على صعيد الإشكالية النظرية، والمحتوى المعرفي والمضمون الأيدولوجي، أي قراءته في محيطه الاجتماعي التاريخي من جهة، وفي ذات الوقت جعله معاصراً لنا من جهة أخرى، على صعيد الفهم والمعقولية) [٢] فااصحاب هذا المنهج يصرون على ربط ايات الأحكام باسباب نزولها ، ويقدمون المصلحة على النص، فلو كانت المصلحة هذه تقتضي أن يكون للأنثى أقل أو أكثر من نصف الذكر المساوي لها في الدرجة والرتبة، فلا ضير من ذلك وإن خالف نصاً صريحاً[٣] ، وهذا فهم قائم على أساس ليس بقويم؛ إذ إن من المصلحة ما هو ملغي وغير معتبر في الشرع (المصلحة الملغية)، ومنها ما لم يعتبره الشرع ولم يلغه، بل أطلقه وأرسله (المصلحة المرسلة)، ومنها المصلحة المعتبرة التي اعتبرها الشرع بأن شرع ما يحافظ عليها ويحظر التفريط بها (المصلحة المعتبرة) [٤] ، ويقول عابد عابد الجابري (إن المصلحة كانت المستند الذي كان الصحابة يرتكزون عليه في تطبيقهم للشريعة سواء تعلق الأمر بما فيه نص أو بما ليس فيه ... فإذا تعارضت المصلحة مع النص في حالة من الحالات وجدناهم يعتبرون المصلحة، ويحكمون بما تقتضيه، ويؤجلون بمنطوق

[١] ينظر: دراسه في فقه مقاصد الشريعة بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية ، يوسف القرضاوي ، دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٧-٢٠٠٦ :١٤٥- ١٥٣.

[٢] التراث والحداثة :عابد الجابري ، مزكز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٩٩٦: ٤١-٤٢.

[٣] ينظر: التراث والحداثة : ٥٥-٥٦.

[٤] المصلحة المرسلة والاستحسان وتطبيقاتها الفقهية : عبد اللطيف العلمي ، وزارة الأوقاف والشوون الإسلامية ، المغرب ،طبعة :الأولى ، ١٤٢٥ -٢٠٠٤: ٣٥.

النص فيها)[١] وهذا الكلام ليس بالصحيح فلم يقدم الصحابة المصلحة على النص ، وإن كان منهم لم يطبق الأحكام في بعض الحالات، فيكون ذلك في حالة عدم توفر شروط التطبيق وليس فيه إيقاف للاحكام أو تعطيله.

الخاتمة

١. يعد الحداثوي محمد أركون أول من استخدم المنهجية التفكيكية والتاريخية في دراست النصوص الدينية.

٢. حاول الحداثيون جاهدين لالغاء العمل في النصوص الدينية بحجة أن أحكامها مناسبة لظروف الواقع الاجتماعي التي نزلت فيه فقط ، كما يحاولون أيضا ابطال تطبيق الشريعة الإسلامية في الأمور التي تخص العبادات والمعاملات .

٣. اعتمد الحداثويون في دراسة القران الكريم وعلومه وتفسيره أدوات المناهج الغربية .

٤. الهدف من تطببيق مفهوم التاريخية في دراسة النصوص الحاكمه هو الغاء ديمومة القران الكريم واحكامه على مر العصور.

٥. صلاحية احكام الشريعة الإسلامية للتطبيق في كل زمان ومكان، ولا سيما أنها تجمع بين الثبات في الأصول والمرونة في الفروع، ولها القدرة على معالجة وحلول المشاكل .

٦. ليست الغاية من إعادة قراءة النصوص هو فهم للنص ، إنما هو التحرر من النص نفسه بغية تجاوزه .

المصادر

١. اطلس: بيتركونزمان واخرون، ترجمة:جورج اكتورا،المكتبة الشرقية ،بيروت – لبنان ،الطبعة :الحادية عشر،٢٠٠٣م.

٢. خطر النزعة التاريخية على ثوابت الإسلام، أ. د محمد عمارة ،مكتبة وهبة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ –٢٠١١ .

٣. الفكر الإسلامي (قراءة علمية):محمد اركون ، ترجمة :هاشم صالح ، مركز الانماء القومي ، بيروت ،الطبعة :الثانية ، ١٩٩٦ .

٤. من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي : محمد اركون ،ترجمة : هاشم صالح ، دار الساقي ،بيروت ،الطبعة : الأولى ،١٩٩١ .

٥. نقد النص : علي حرب ، الدار البضاء ، المغرب ، الطبعة : الرابعة ،٢٠٩٥ .

٦. النص والسلطة و الحقيقة : نصر حامد أبو زيد ، الدار البيضاء ، الطبعة : الأولى،١٩٩٥.

٧. النص القراني أمام اشكالية البنية : الطيب تيزيني ، دار الينابيع،١٩٩٧.

[١] الدين والدولة وتطبيق الشريعة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٩٩٦: ٤١-٤٢.

٨. الأسس الفكرية لليسار الإسلامي : خليل عبد الكريم،موسسة الأهلي ، الطبعة:الأولى،١٩٩٥.

٩. سلطة النص (قراءات في توظيف النص الديني):عبد الهادي عبد الرحمن ، الناشر : الانتشار العربي ، الطبعة :الثانية .

١٠. نقد الخطاب الدين : نصر حامد ابو زيد ، سينا للنشر ، القاهرة –مصر ، الطبعة : الثانية ، ١٩٩٤: ١١٨.

١١. تاريخية التفسير القراني : نائلة السليني الراضوي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت– لبنان ، الطبعة : الاولى ،٢٠٠٢.

١٢. جدلية الأيديولوجي والمعرفي : ليث العتابي ، دار القارى ،لبنان ، الطبعة: الأولى ، ٢٠١٧.

١٣. ثقافتنا في ضوء التاريخ، عبد الله العروي ، المركز الثقافي العربي، الطبعة :الرابعة ،١٩٩٧/

١٤. قاموس أكسفورد المحيط قاموس إنجليزي عربي : جويس هوكنز وآخرون ، مراجعة وإشراف محمد دبس، أكاديميا بيروت –لبنان .

١٥. قراءة في القراءة : رشيد بنحدو ، مجلة الفكر العربي المعاصر، دار الآفاق، بيروت،العدد ٤٨، ١٩٨٨ .

١٦. إشكاليات القراءة وآليات التأويل: نصر حامد أبو زيد ، المركز الثقافي العربي ، بيروت – لبنان ، الطبعة : الأولى ،٢٠١٤ .

١٧. تاريخية الفكر العربي الإسلامي، محمد أركون ، ترجمة : هاشم صالح ، الدار البيضاء ، الطبعة : الثانية ، ١٩٩٦

١٨. ثقافة التنمية وتنمية الثقافة. الإمام الشافعي لنصر أبي زيد :

١٩. العلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام : مصطفى باخو السلاوي ، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة – جمهورية مصر العربية ، الطبعة : الأولى، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م.

٢٠. تفسير العياشي : محمد بن مسعود العياشي ، المطبعة العلمية، طهران، طبعة : الأولى ، ١٣٨٠ .

٢١. بحار الأنوار : العلامة المجلسي ، مؤسسة الوفاء – بيروت – لبنان الطبعة : الثانية ، ١٤٠٣ – ١٩٨٣

٢٢. البرهان : الزركشي ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاءه، الطبعة : الاولى ، ١٣٧٦ – ١٩٥٧ م

٢٣. التفسير الصافي: الفيض الكاشاني، تحقيق : صححه وقدم له وعلق عليه العلامة الشيخ حسين الأعلمي ، مكتبة الصدر – طهران ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٦.

٢٤. مفهوم النص : نصر أبو زيد، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ،٢٠١٤ .

٢٥. دراسه في فقه مقاصد الشريعة بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية ، يوسف القرضاوي ، دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٧-٢٠٠٦.

٢٦. التراث والحداثة :عابد الجابري ، مزكز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٩٩٦.

٢٧. المصلحة المرسلة والاستحسان وتطبيقاتها الفقهية : عبد اللطيف العلمي ، وزارة الأوقاف والشوون الإسلامية ، المغرب ،طبعة :الأولى ، ١٤٢٥ -٢٠٠٤.

٢٨. الدين والدولة وتطبيق الشريعة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٩٩٦.

٢٩. صراع التاويلات : بول ريكور، ترجمة : منذر عياشي ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ٢٠٠٥.

٣٠. دراسات في الواقعية : جورج لوكاتش ، ترجمة : نايف بلوز ، الموسسة الجامعية للدراسات ، الطبعة : الثالثة ، بيروت ، ١٩٨٥.

٣١. المعجم الفلسفي : عبد المنعم الحنفي ، الدار الشرقية ، القاهرة ، الطبعة : الأولى ، ١٩٨٧

٣٢. مفهوم التاريخ : عبد الله العروي ، الدار البيضاء ، الطبعة : الرابعة ، ٢٠٠٥.

٣٣. القران من التفسير الموروث الى تحليل الخطاب الديني: محمد اركون ، ترجمة وهامش : هاشم صالح ،دار الطليعة ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ٢٠٠٥.

المصادر الإنكليزية

34. le Petit Robert , Dictionnaire de la langue française, nouvelle Edition (1992)